مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (8) العدد (2) 2024
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2024/10/16 ، تاريخ القبول: 2024/11/09، تاريخ النشر: 2024/11/14

شعر الإخوانيات عند ابن زيدون (الأغراض، البواعث)

مرعي أرحومة جمعة الجالي
قسم اللغة العربية، كلية الآداب \ القبة
جامعة درنة، ليبيا.
m.aljali@uod.edu.ly

علي عبد الرحيم أحميدة عمر
قسم اللغة العربية، كلية التربية
جامعة عمر المختار، ليبيا.
Ali.abdalraheem@omu.edu.ly

المستخلص

يتناول هذا البحث شعر الإخوانيات عند ابن زيدون الأغراض والبواعث، وهي مجموعة من المراسلات الشعرية جرت بين الشاعر وإخوانه وممدوحيه، تظهر المحافظة على الصلة والود بين الأصدقاء، فاتسمت هذه المراسلات بالرقة والعذوبة فضلاً عن العاطفة القوية، وتنوعت بين المطارحات الشعرية ومجالس الأنس والمعميات التي تنهض على الأحاجي والألغاز، معتمدين في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج القيمة من أهمها:

. أن الإخوانيات تعد فناً مستقلاً عند ابن زيدون، فرضته الظروف السياسية وبعد الشقة بين الشعراء.

. أن المطارحات التي دارت بين الشاعر والمعتمد بن عباد، غرضها التسلية وقتل أوقات الفراغ.

الكلمات المفتاحية: الإخوانيات، المطارحات، المعميات.

المقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن هذا البحث يتناول شعر الإخوانيات عبد ابن زيدون الأغراض والبواعث، أو ما يعرف بالمراسلات الشعرية بين الشعراء، وهي مراسلات تفرضها طبيعة الحياة السياسية والثقافية في عصر ملوك الطوائف، الذي بلغت فيه الأندلس مجدها في مجال العلم والمعرفة، ولاسيما الأدب شعراً ونثراً، فظهر في هذا العصر أبرز أعلام الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري وهو ابن زيدون الذي تنقَّل بين ملوك الطوائف، متقلدا أعلى الوظائف بقرطبة وإشبيلية، وقد قسم البحث إلى تمهيد تناول التعريف

بشعر الإخوانيات وخمسة مباحث حسب الغرض و بواعثه، تناول المبحث الأول المطارحات الشعرية، وخصص المبحث الثاني لشعر الإهداءات، وكان المبحث الثالث لدراسة مجالس الأنس، أما المبحث الرابع فخصص لدراسة فن المطيرات (المعميات)، والمبحث الخامس الدراسة الفنية، وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج القيمة أثبتتْ في الخاتمة، كما أُرفِقَتْ بقائمة من المصادر والمراجع.

أهمية البحث: وتكمن أهمية البحث في كونه يتناول علما من أعلام الشعر الأندلسي، وهو ابن زيدون اشتهر بشعر الإخوانيات وبرع فيه، وتميز به حتى جعله فناً مستقلاً يضاهي سائر أغراض شعره؛ ولذلك فإن البحث يهدف إلى تسليط الضوء على دراسة شعر الإخوانيات عنده.

مشكلة البحث: تكمن إشكالية البحث في الإجابة عن السؤالين التاليين: ما أغراض المراسلات الشعرية التي اشتهر بها ابن زيدون؟ وما الأسباب والبواعث التي دعته إلى هذا الفن؟

منهج البحث: وقد تم الاعتماد في هذه البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع هذه الظاهرة في مراحل حياة ابن زيدون المختلفة لما فيه من جمع للمعلومات والنصوص والحقائق، وكل ما يتعلق بالموضوع لدراستها، وتحليلها، وتفسيرها، وتصنيفها، وتوظيفها للوصول إلى النتائج المرجوة.

الدراسات السابقة: وأما ما يخص الدراسات السابقة للموضوع، فليس بين أيدينا دراسة مستقلة عنه، وكل ما هو متوافر إشارات في بعض الكتب، مثل كتاب الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، للدكتور أحمد هيكل، الذي ذكر هذه السمة، كونها سمة مميزة لشعر ابن زيدون، ومثل لها بالعديد من الأبيات الشعرية، وأضاف إليها سمات أخرى ميزت شعره عن غيره، بالإضافة إلى إشارات الدكتور شوقي ضيف في كتابه تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)، وإشارات الدكتور عمر الدقاق في كتابه ملامح الشعر الأندلسي.

تمهيد

الإخوانيات: هي ما يتبادله الأدباء والكتاب فيما بينهم من رسائل، أو مداعبات شعرية، وهي مصطلح "تداوله النقاد، ودارسو الأدب لتعيين لون من ألوان الكتابة الشعرية والنثرية التي تندرج تحت إطار المراسلات المتداولة بين الأصدقاء والخلان، أو في نطاق استحضار طيب العيش معاً، وتذكَّر أيام الود والهناء، وتأكيد الوفاء لها والالتزام بعهودها، وغير ذلك مما يتطارحه المتوادُّون في مكاتباتهم، ويتوارد على قرائح الشعراء من ذكرى الأصدقاء، أو مجالس الأحباب"(ناصيف، 1996: 4).

نظم الشعراء في كثير من الموضوعات الشعرية القديمة المعروفة من غزل ومديح ووصف ورثاء وغيرها، إلاَّ أن بعضهم استحدث شعراً جديداً عرف بالإخوانيات، وهي عبارة عن قصائد يرسلها الشعراء إلى إخوانهم وأصدقائهم، يعبرون من خلال هذا الشعر عن عواطفهم ومشاعرهم نحو إخوانهم من "رغبة

ورهبة، ومن عتاب واعتذار، وتهنئة وشكر... فعبروا عمَّا يجول في نفوسهم، وما يشوبهم من مشاعر جياشة بأبيات أوجزت الكثير من الكلام"(جرار،2007: 127) ولا شك أن هذا الفن يعد نوعاً من أنواع الشعر العربي، وقد اشتهر هذا النوع من الشعر في ظل تفتت الدول في المشرق العربي، ومن ثم انتشر في بلاد الأندلس انتشاراً واسعاً وخاصة في عصر ملوك الطوائف، عصر شاعرنا ابن زيدون؛ لأن الشعراء تفرقوا في الممالك المختلفة في بلاد الأندلس، فكان لا بد من المراسلات فيما بينهم لأغراض عديدة منها التهنئة والاعتذار والحنين وغير ذلك.

ومن هنا فقد أصبحت الإخوانيات عند ابن زيدون فناً أصيلاً يكاد يسامي غزله في الرقة والروعة والجلال، وتتفاوت الموضوعات في قصائد الإخوانيات عند ابن زيدون، فمنها ما هو عتاب، ومنها ما هو تهنئة أو اعتذار أو طلب استشفاع أو شكر، "ويلاحظ من كثرة إخوانيات ابن زيدون أن الشعر كان وسيلة بينه وبين إخوانه، يحمله ما يبغي أن يقوله لهم، وفي ذلك إشارة إلى أن الشعر كان في متناول يده، فلا يستعصي عليه إذا أراد أن يعبر به عن موضوع من الموضوعات المختلفة.

المبحث الأول: المطارحات:

وهي مراسلات شعرية يكتب الشاعر فيها أبياتاً, أو يرد عليها من قافيتها ووزنها، وتتجلى فيها الرقة والعذوبة فضلاً عن العاطفة القوية التي تذكرنا بحبه العاصف الغلاب وشغفه القوي بالجمال، وبخاصة جمال الطبيعة الخلاب، والمطارحة: "فرع من المراسلات الشعرية، المنضوية تحت المكاتبات الإخوانية" (لقمان، 2008: 61)، ولا تسمى المطارحة مطارحة "إلا إذا ردَّ عليها بقصيدة مثلها وزناً وقافية"، (لقمان، 2008: 61)، ومن أمثلة هذا الشعر، ما أجاب به صديقه أبا عامر بن مسلمة من أبيات يرد بها على عتابه لتخلفه عن زيارته، فقال أبو عامر(ابن بسام،1997: 2/105-106)، معاتباً، (ابن زيدون،1957: 204):

تُباعِدُنا على قُـربِ الجِـوارِ *** كأنَّا صدَّنا شحْـط المزارِ
تطلَّعَ لي هلالُ الهَجْـرِ بدْراً *** وصارَ هلالُ وصْلكَ في سرارِ
وشاعَ شنيعُ وصلِكَ لي وهجري *** فهَــلَّا كان ذلك في اسْتِتارِ
أيجملُ أن تُرى عنِّي صَبـوراً *** وأصبِـحُ مُولَعاً دُنَ اصطِبارِ؟
ولمَّا أنْ هجرْتَ وطال غَفْري *** عقَرْتُ هُمُومَ نفْسي بالعُقــارِ
وكنتُ أزِيدُ سمعَكَ من عِتابي *** ولكنْ عاقني قُـربُ الخُمارِ

يلوم أبو عامر صديقه ابن زيدون ويعاتبه على مجافاته له وتباعده في وصاله له، رغم قرب داره منه، فكان هجره كاملاً ووصله ناقصاً، وقد عبر عن الهجر بالبدر الكامل، وعبر بالوصل بالسرار وهو الهلال في آخر ليلة من الشهر، حتى أن هذا الهجر قد شاع وعرف بين الناس، فلِمَ لم تبقهِ سراً، وقد قتلتُ هموم

نفسي بشرب الخمرة، بسبب هجرك لي وطول انتظاري لك، فأجابه ابن زيدون على البحر والقافية نفسها، بقوله، من الوافر: (ابن زيدون، 1957: 205)

هَوَايَ وإنْ تَنَاءَتْ عَنْـكَ دَارِي *** كَمِثْلِ هَوَايَ فِي حَالِ الجِوَارِ
مُقِـيْمٌ لا تُغَيِّـرُهُ عَـوَادٍ *** تُبَاعِدُ بَيْنَ أحْيَـانِ المَـزَارِ
رَأَيْتُكَ قُلْتَ: إنَّ الهَجَـرَ بَدْرٌ *** مَتَى خَلَتِ البُدُورُ مِنَ السَّرَارِ
ورَابَكَ أنَّـني جَلْـدٌ صَبُـورٌ *** وكَمْ صَبْرٍ يَكُونُ عنِ اصْطَبَارِ
ولَمْ أهْجُـرْ لِعَتْبٍ غَيْـرَ أنِّي *** أَضَرَّتْ بِي مُعَاقَـرَةُ العُقَارِ
وأنَّ الخَمْـــرَ لَيْسَ لَهَا خُمَارٌ *** تُبَرِّحُ بِي فَكَيْـفَ مع الخُمَـارِ؟
وهل أنسى لديك نعيـمَ عيشٍ *** كوشي الخدِّ طُرِّز بالعذار؟
وساعاتٍ يجـولُ اللَّهـوُ فيها***مجال الظَّلِّ في حدق البهارِ
وإنْ يكُ قَرَّ عنكَ اليوم جسمي***. فُديتَ . فما لِقلبي من قَرارِ
وكُنْتَ على البِعــادِ أجلَّ عِلْقٍ*** لديَّ فكيفَ إذْ أصْبَحَتَ جاري؟

ويبدو أن ابن زيدون قد تأثر بعتاب صديقه بسبب هجره الذي تلخصه لفظة (تباعدنا) فيرد ابن زيدون مبرراً هجره ومظهراً محبته له، والذي تلخصه لفظة (هواي) في أول كلمة له ليخبره ببقاء محبته له التي لا تغيرها الأحداث وإن باعد المزار أحيانا، وقد كنتَ على الرغم من البعد أغلى ما عندي، فكيف إذا أصبحت جاري, ونلحظ من خلال عتاب أبي عامر الكثير من الألفاظ التي تحمل الدلالة السلبية، كقوله (تباعدنا، شحط المزار، شنيع، عقرتُ، موحشاً)، ليقابله ابن زيدون بألفاظ تحمل الدلالات الإيجابية معبراً من خلالها على محبته واعتذاره له منها (هواي، جاري، مقيمٌ، لا تغيره العواد، نعيم عيش، أجل علقٍ)، ولعل ما جعل ابن زيدون أن يرد بهذه الأبيات المعبرة عن الحب والتي ظهر فيها تأثره، هو ما اختتم به أبو عامر أبياته بمجموعة أوامر تدل على إلحاحه في الطلب كقوله: (فراعِ مودتي، احفظ جواري . مذكرا بأن الله أوصى بالجوار، زرني منعماً، وآنس وحشتي)، كما يلاحظ على مطارحة أبي عامر أنها مليئة بالبديع من طباق وجناس وحسن تقسيم، وبرد العجز عن الصدر؛ لذلك جاءت مطارحة ابن زيدون متبعة الأسلوب نفسه، فمن الجناس في مطارحته (هواي، وهواي، بدر والبدور، صبور وصبر واصطبار، معاقرة والعقار، الخمر والخمار، يجول وجال، قرَّ وقرار، ومن المطابقة (تناءت وجوار، البعاد وجاري).

ومن المطارحات ما كتبه الوزير الكاتب أبو بكر بن القصيرة إلى الشاعر حينما بلغه مرضه وتناوله الدواء، فقال من المنسرح: (ابن زيدون،1957: 209)

مولايَ نفسي إلى مطــالعةِ الـ ***حُسنى بِعُقبى الدَّواءِ مُطَّلِعهْ

وكيفَ ذَاكَ الحِسُّ الذَّكـيُّ، وقدْ ***باشــرَ تِلكَ المَذاقةَ البَشِعهْ؟
وَددتُ لو أنَّني خُصِصْتُ بما أسـ *** تَبْشَعْتَ منه وحُـزْتَ مُنتَفَعَهْ
أَعْقَبَــكَ اللهُ من فظـاعتِهِ ***أسْوغَ صنْـعٍ في مثلِهِ صَنَعَهْ
مَصحَّةَ تَصْحَبُ الزَّمــانَ فَتُبْـ *** لِيهِ، وتبقــى جديدةً نَصَعَهْ
فأنتَ روحُ العــــلاءِ نسَّأهُ اللـــه***وشملُ الوفاءِ، لا صَدَعهْ

يدعو ابن القصيرة للشاعر بالشفاء العاجل بعد تناول الدواء، فنفسه تواقة للعاقبة الحسنى التي ستحدثها هذه المذاقة البشعة بمشيئة الله، حتى أنه تمنى ما نال ما استُبشع به ابن زيدون ليشاركه الألم، وتخفيفاً عليه، وقد تفنن ابن القصيرة في زخرفة قصيدته بشتى أنواع البديع كالمجانسة بين (مطالعة ومطلعة، بعقبى وأعقبك، استبشعت والبشعة، صُنع وصنعه، بصحة وتصحب) والمطابقة بين (البشعة، منتفعة، وتبلى، تبقى جديدة، و شمل وصدع)، فيجيبه ابن زيدون بادئاً أبياته بالثناء على الله الذي أزال هذا العارض المزعج بلطفه وفضله، شاكراً إحسان الله عليه، ويختتم أبياته أيضا بحمد الله وحده لا شريك له الذي تكرم عليه بالعطاء والمعافاة، وهذا يدل على إيمان الشاعر ويقينه بربه الذي تأكد لنا ذلك من خلال تكرار لفظ الجلالة (الله) ثلاث مرات، ثم يشيد ابن زيدون بمحبة صديقه الشديدة له، التي لا يسعها الحساب، كما يشيد ابن زيدون بأبيات صديقه الضافية التي تشبه العقد الموشى بشتى الزخارف، التي بثَّ فيها من صنوف البديع، وقد جاءت كالروض المشتمل على شتى أنواع الأزهار وألونها، فأنساه منظرها البهي مرضه، وبشاعة الدواء، من المنسرح : (ابن زيدون،1957: 210)

قد أحسنَ اللهُ في الذي صَنَعَهْ ***عارضُ كــربٍ بلُطفِهِ رَفَعَهْ
تباركَ اللهُ، إنَّ عـادةَ حُسْـ *** ناهُ مع الشكــرِ غيرُ منتَزَعَهْ
يا سيِّدي المُسْتَبِدَّ من مِقَتــي***بِخِطــــةٍ فاتَتِ الحسابَ سَعَهْ
وافانيَ العِقْدُ زِيْنَ ناظِمُهُ ***والوشْيُ لا راعَ حــادثُ صَنَعَهْ
بَثَثْتَ فيــهِ البَــديْعَ مُنْتَقِياً*** كالرَّوضِ إذْ بثَّ في الرُّبا . قِطَعَهْ
أزّاحَ كَـرْبَ الدَّواءِ مَطْلَعُهُ***لمَّا بدَا طـالعُ السُّــرورِ معهْ
كمْ دعوةٍ قد حواهُ صالحةٍ ***من أملــي أنْ تكـونَ مُسْتَمَعَهْ
جُمْلةُ ما نَفْسُـكَ السَّريَّةُ مِن حا ***لــي إلى عِلمِ كُنْهِهِ طلــعهْ
أنَّ الدَّواءَ التذَّتْ عَـواقِبُهْ ***مِنِّـــي نَفْسٌ تبَشَّعتْ جُـرْعَهْ
فالحَمْدُ لله لا شــريكَ لَهُ ***إن بدأَ الطَّـــولَ مُنْعِماً شَفَعَهْ

وكتب الوزير أبوبكر بن الطُّيبي إلى ابن زيدون هذه الأبيات، من البسيط:

أبا الوليدِ وما شطَّت بنا الدَّارُ ***وقلَّ مِنَّا ومنك اليومَ زوَّارُ
وبيْننا كلُّ مـا تذْريهِ من ذِممٍ ***وللصِّبا ورقٌ خُضرٌ ونُوارُ
وكلُّ عُتبٍ وإعتابٍ جَرَى فلهُ ***مواقِعٌ حُلوةٌ عنـدي وآثارُ
فاذكرْ أخاكَ بخيرٍ كيفما لعِبتْ*** به الليالي، فإن الدهر دوَّارُ

ولعل أهم ما يميز مطارحات ابن زيدون هي الردود على قصائد أصدقائه، التي تدور أغلبها حول العتب واللوم، وأن الشاعر قد غيره الزمان عنهم، فلم يعد يعبأ بهم، فيأتي دور ابن زيدون مبرئاً كل تهمة، وسوء ظن، بأبيات تكاد تكون متكافئة في العدد، وكأنها إجابات لتساؤلهم واتهامهم، فالوزير أبوبكر بن الطُّيبي يلوم الشاعر ويسأله عن سبب تباعده عنه، رغم قرب الدار وما كان بينهما من مودة وصداقات أيام الشباب، ثم يذَّكره في آخر بيت بأن (الدهر دوار)، فيجيبُ الشاعر على البديهة في ظهر رقعته؛ مبرراً كل اتهامات وشكوى صديقه، معترفاً له بتباعده عنه، لكنه يعزو ذلك إلى مشاغل الحياة، ومحن السياسة، والفتن والصراعات التي تحدق به، ولولا هذه الفتن لما أغبك زائرٌ، ثم يذكره بحفظ المودة بينهما، حتى أن الشاعر لجأ إلى كلام الله وسنة رسوله، اغترف منهما؛ ليكونا له العلاج الشافي والجواب الكامل لإقناع صاحبه، فيذكره بحسن الظن، وهو معنى قرآني، وكذلك لفظة غياهب، وفتن، وعهود، تعمى الأبصار، وقوله: لما أغبك زوار، هو توظيف لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يختم الشاعر أبياته مجيباً إجابة بديهية، عن تذكير صديقه له في قوله: (فإن الدهر دوار) فيختم ابن زيدون قائلاً: من يعرف أن الدهر دوار لا يرتاب في ذكر الصديق عند أوقات الشدة، من البسيط:

لو أني لك في الأهواء مُخـــتارُ*** لَما جرتْ بالذي تشكـوهُ أقدارُ
لكنـــها فتنٌ في مثـلِ غيْهَبها ***تَعمى البصائرُ إن لم تعْمَ أبصارُ
فأحس الظَّنَّ لا تَرْتَب بعــهْدِ فتًى ***تعفُو العهــودُ وتبقى منه آثارُ
لو كان يُعْطى المُنى في الأمرِ يُمكِنُهُ ***لما أغبَّـــكَ يوماً منه زوَّارُ
لا يُكثِرُ العتْبَ في ذكرِ الصـديقِ بهِ ***مَنْ ليس يجهلُ أن الدهـرَ دوَّارُ

ويذكر أن المعتمد كان قد عرض له سفر فجأة، فكتب إلى ابن زيدون بعد أن فكَّ معمى، تلقاه منه:

العينُ بَعدكَ تقـذى ***بكلِّ شيء تراهُ
فَلْيُجْلِ شخْصُكَ عنْها*** ما بالمغيبِ جَنَاهُ

فعاقت ابن زيدون عن الجواب أشغالٌ توالت عليه، ثم استبطأه المعتمد، فبعث إليه بالقصيدة التالية معاتباً، من المتقارب (ابن زيدون،1957: 214)

وعَدْتَ وَأَخْلَفْتَنِي المَوْعِدَا*** وخَالَفْتَ بالمُنْتَهَى المُبْتَدَا

وأَطْمَعْتَنِي ثُمَّ أيْأَسْتَنِي ***ويَمْنَعُنِي الوُدَّ أنْ أحْقِدَا
وعَادَ ضِيَاءُ ارْتِقَابِي ظَلامًا*** وأصْبَحَ مِصْباحُهُ أرْمدا
وَأَضعَفتَ بالمطلِ حَبلَ الرَجا***ء فرثّ وَأعهدُهُ مُحصَدا
وَكانَ فِعالُكَ قَبلَ المَقــال ***فَماذا عَدا الآن فيمـا بَدا
وَقَد كانَ ظَنّــي فيما رَأَيتُ ***بِهِ أَنَّ الشــحّ غَلّ اليَدا
عَلى ذاكَ أَفديك مِن ماجِدٍ ***تَشّبتثَ بِالظَرف فيهِ الهُدى
لَكَ العِلم مَهما أَرِد بحـرَهُ ***لأروى بِهِ أَحمَـدُ المَورِدا
وَفيكَ تَجمعت المــأثُرا ***تُ طرا فصرت بِها مُفرَدا
شَمائِلُ تَنثرُ شَملَ الهُمـو ***م نثرَكَ بِالرأي شملَ العِدى
فَمَتَّعَني اللَهُ بالحَـظّ مِنك*** وَلا زِلتَ لي مؤنِساً سَرمَدا
وَدُمت وَدُمنا عَلى حالِنا*** كَما يَصحَبُ الفرقـدُ الفَرقَدا
فَلولاك كانَت رُبوع السرو *** ر مِنّي تَجاوَبَ فيها الصَدا

يستهل المعتمد قصيدته معاتباً صديقه ابن زيدون الذي تأخر عليه ومطله في الرد، فابن زيدون كثيراً ما يمطل أصدقاءه، فيعاتبونه على ذلك، ولعل ذلك راجع إلى مشاغل الحياة، الأمر الذي جعل المعتمد يكتب معاتباً، مستهلاً أبياته بـ (خلف الوعد)، فقد كان ابن زيدون لا يبطأ في الرد عن المعتمد، وأن فعله يسبق قوله، فماذا جدَّ حتى تغيرت الأوضاع؟ ولا شك في أن لوم المعتمد لابن زيدون لوم الأخوة والمحبة، فقد كان أستاذه ومؤدبه مذ كان صغيراً، ولذلك لم يلبث المعتمد في لوم ابن زيدون وعتابه، حتى ينتقل إلى الثناء عليه والإشادة بعلمه الذي ارتوى من مورده فمتعني الله بالحظ منك، ولا زلت لي مؤنساً سرمدا، ويختم قصيدته بالدعاء وديمومة صحبتهما، فأجابه ابن زيدون على البحر والروي نفسه، بقوله: (ابن زيدون،1957: 215)

أَفاضَ سَماحُكَ بَحــرَ النَدى*** وَأَقبَسَ هَديُكَ نورَ الهُدى
وَرَدَّ الشَـبابَ اِعتِلاقُكَ بَعدَ ***مُفارَقَتــي ظِلَّهُ الأَبرَدا
وَمــا زالَ رَأيُكَ فِيَّ الجَميلَ***يُفَتِّحُ لي الأَمَلَ الموصَدا
وَحَسبِيَ مِن خــالِدِ الفَخرِ أَن***رَضيتَ قُبولِيَ مُستَعبَـدا
وَيا فَـرطَ بَأوي إِذا ما طَلَعتَ*** فَقُمتُ أُقَبِّلُ تِلكَ اليَــدا
وَرَدَّدتُ لَحظِيَ في غُــرَّةٍ ***إِذا اِجتُلِيَت شَفَتِ الأَرمَـدا
وطَـاعَةُ أَمْرِكَ فَـرْضٌ أرا ***هُ مِنْ كُلِّ مُفْتَرضٍ أَوْكَـدَا
وَأُخلِفَ مَوعِــدَ مِن لا أَرى ***لِدَهرِيَ إِلّا بِهِ مَوعِــدا

أَتاني عِتابٌ مَتـــى أَدَّكِر ***هُ في نَشَواتِ الكَرى أَسهَدا
وَإِن كانَ أَعقَبَــهُ ما اِقتَضى ***شِفاءَ السِقامِ وَنَقـعَ الصَدى
فَدَيتُكَ مَولىً إِذا ما عَثَـرتُ ***أَقالَ وَمَهما أَزِغ أُرشَــدا
رَكَنتُ إِلى كَرَمِ الصَفحِ مِنهُ ***فَآمَنَنــي ذاكَ أَن يَحقِـدا

سُرَّ ابن زيدون بثناء المعتمد عليه في آخر القصيدة، فاستهل أبياته بلفظة (أفاض سماحك بحر الندى) التي تلخص مدى سروره وغبطته، ولا شك في أن ابن زيدون صحب المعتمد بعد أن تقدم به العمر فردَّت حفاوة المعتمد إليه شبابه وسعادته، فكان يسرُّ بطلة المعتمد الوضاءة عليه وأنه يفخر بتقبيل يده، فحاشاي أن أضل الصراط، وأرفض أوّل فرض علي من طاعتك التي هي الشرع، لقد أسهدني عتابك وسبب لي أرقاً وأبعد النوم عن عيني، ولكني ولله الحمد وجدتُ فيك صدراً رحباً يأبى أن يرد عذر معتذر، فهنيئاً لك ما اتصفت به من طهارة القلب وطهارة اليد فيما تغنمه من فتوحاتك، وما اتسمت به من الشرف الرفعة، ففقت الملوك جميعاً عدا والدك العظيم البعيد الهمة الجزيل العطايا، ثم يختم قصيدته بالثناء على ملك المعتمد وأبيه المعتضد وبأنهما الأوحدان بين الملوك، فمن قال غير ذلك فما وحدَّا.

المبحث الثاني: الإهداء والاستهداء:

وهي عبارة عن مقاطع تدور حول معنى واحد وهو المحافظة على الصلة والود بين الأصدقاء، وهذا هو الباعث الرئيس فيها، وقد يكون ذلك بين الأمير وأحد وزرائه أو أصدقائه المقربين.

وفي هذا النوع يصف الشاعر الهدية وسجايا المهدي أو المهدى إليه، وقد أرسل ابن زيدون إلى أصدقائه الشعر مهدياً وآملاً، واستقبل هداياهم شاكراً، ومعظم تلك الهدايا أما فاكهة كالعنب والتفاح، أو خمر، ومن أمثلته تلك الأبيات التي بعث بها إلى أبي بكر إبراهيم جده لأمه، وأرفقها بهدية من عنب يسمى عذارى الذي يبعث نشوة كنشوة الخمر، وقد كتب معها، من الوافر: (ابن زيدون،1957: 219)

أَتَاكَ مُحَيِّياً عَنِّي اعْتِبَارَا ***عَذَارَى دُونَهُ رِيْقُ العَذارَى
تَخَالُ الشُّهْدَ مِنْهُ مُسْتَمَـدًّا***ونَفْحَ المِسْكِ مِنْهُ مُسْتَعَارَا
يَرُوقُ العَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاءٍ***غَدَا ثَوْبُ الهَوَاءِ لَهُ شِعَارَا
ولَوَلَا أَنَّنِي قَدْ نِلْـتُ مِنْهُ ***ولَمْ أَسْكَرْ لَخِلْتُ بِهِ عُقَارَا

بَعَثْتُ بِهِ ولَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي***إِلَيْكَ، لَكَانَ مِنْ برِّي اقْتِصَارَا

فأَنْعِمْ بالقَبُولِ، فَرُبَّ نُعْمَى***أَعَدْتَ بَهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارَا

وبعث ابن زيدون إلى صديقه الأمير أبي الوليد بن جهْور ذات يوم هدية تفاح، وكتب معها هذه القصيدة التي زاوجت بين الأوصاف الحسية والمعنوية، وأبرزت المؤثرات الجمالية في جميع الحواس الإنسانية، وقد اجتمعت في هذه التفاح الحمرة بالصفرة، فحمرتها مثل خد الحبيب إذا ضرَّجه الحياء، وصفرتها مثل لون المحب إذا برَّح به الوجد، وأن هذه الثمار قد تعهدها الهواء في درجات نموها بعناية ورفق، فأمدها بحرارة الشمس، وحيناً ببرد الظل، وأنها إذا ذابت صارت خمراً، ولكنها حلال, وأن هذا التفاح لذيذ المذاق يشبه ذكراك غير أن ذكراك لا تمل، فاقبل هذه الهدية المتواضعة، بل أن حياتي أقل أن تهدى إليك، ولكنني بذلت غاية الجهد وأقصى الاحتفال، فقال من المتقارب: (ابن زيدون،1957: 243)

أتَتْك بِلَـونِ المُحِبِّ الخَجِلْ ***تُخالِطُ لَوْنَ المُحِبّ الوَجِـلْ

ثِمَـارٌ تَضَمَّـنَ إدْرَاكَهَا***هَوَاءٌ، أحـاطَ بِهَا مُعْتدِلْ

تَأتَّى لإلْطَـافِ تَدْرِيجِـهَا***فمِنْ حَرّ شَمْسٍ إلى بَرْدِ ظِلّ

إلى أنْ تَنَاهَتْ شِفَاءَ العَلِيـلِ***وأُنْسَ المَشُوقِ ولَهْوَ الغَـزِلْ

فَلَوْ تجْمُدُ الراحُ لم تعْـدُها***وإن هي ذابتْ فخَمْرٌ تَحِـل

لَهَا مَنْظَرٌ حَسَنٌ في العُيُـونِ***كَدُنْيَـاكَ لَكِنَّـهُ مُنْتَقِـلْ

وَطَعْـمٌ يَلَـذّ لِمَنْ ذَاقَـهُ***كَلَـذّةِ ذِكْرَاكَ، لَوْ لَمْ يُمَـلّ

وَرَيَّاً، إذا نَفَـحَتْ خِـلْتُهَا***تُمِـلَّ تَنَـاءَكَ، أوْ تَسْتَـهِلّ

يُمَثِّـلُ مَلْمَسُهَا، للأكُـفّ***لِيْـنَ زَمَانِـكَ أوْ يَمْتَثِـلْ

صَفَوْتُ، فَأدلَلْتُ في عَرْضِها***وَمَنْ يَصْفُ منهُ الهَوَى فَلْيُدِلّ

قَبُولُكَـهَا نِعْمَـةٌ غَضَـةٌ ***وَفَضْـلٌ بِمَا قَبْلَهُ مُتَّصِـلْ

وَلَوْ كُنْتُ أهْدَيتُ نَفسِي اختَصرْ***تُ، على أنَّها غَايَةُ المُحْتَفِلْ

وقد أهدى ذات يوم إلى المعتضد تفاحاً وكتب معه من مجزوء الكامل: (ابن زيدون،1957: 221)

يَا مَنْ تَزَيَّنَتِ الرِّيَا***سَةُ حِـينَ أُلْبِسَ ثَوْبَـهَا

وَلَهُ يَدٌ يَئِسَ الغَمَـا***مُ مِنَ أنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا

جَاءَتكَ جَامِدَةُ المُدَا***مِ، فَخُـذْ عَلَيْهَا ذَوْبَـهَا

وأهدى إليه أيضاً دواء، وكتب معه، من الخفيف: (ابن زيدون،1957: 221)

لَذَّة الوَصْلِ نَالَهُ بَعْـدَ يَأْسٍ***كَلِفٌ طَالَمَا تَشَكَّي الجَفَـاءَ

يَفْضَحُ الشُّهْدَ طَعْمُهُ كُلمَا قِيْـ***سَ إلَيْهِ، ويُخْجِلُ الصَّهْبَاءَ

وتلقى منه هدية خمر مصحوبة بأبيات أجاب عنها بمقطوعة شعرية يشكره فيها، قائلاً من المتقارب: (ابن زيدون،1957: 222)

لَشَرَّفَ مَمْلُوكَكَ المُسْتَرَقَّ***نَظْـمٌ مِنَ الكَلِمِ المُنْتَحَلْ

ورَاحٌ تُعِيدُ إلى مَن أسَنَّ***طِيبَ زَمَانِ الصِّبَا المُقْتَبَلْ

واستهدى الشاعر المعتضد خمراً في شعر رقيق فكتب إليه من المجتث: (ابن زيدون،1957: 224)

يَا بَـانِياً كُلَّ مَجْد***وهَادِماً كُلَّ وَجْـدِ

جِسْمُ السُّرُورِ سَوِيٌّ***مِنْ صَوْغِ نُعْمَاكَ عِنْدِي

فَهَبْ لَهُ رُوحَ رَاحٍ ***نْطِـقْ بِأَحْفـلِ حَمْدِ

وأرسل إلى المعتمد، من الخفيف:

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِـدَهْ ***وفَدْتَ خَيْرَ وَافِدَهْ

وَجَدَتْ سُوقَ ذَوْبِـهَا ***عِنْدَ تَقْوَاكَ كَاسِدَهْ

فَاسْتَحَالَتْ إلَى الجُمُودِ***وَجَاءَتْ مُكَـايِدَهْ

ثم عدل عن الأبيات السابقة، وكتب، من مجزوء الكامل: (ابن زيدون،1957: 224)

جَاءَتْك وَافِدَةُ الشَّمُول***في المَنْظَرِ الحَسَنِ الجَمِيلْ

لَمْ تَحْظَ ذَائِبَـةً لَدَيْ***كَ ولَمْ تَنَلْ حَظَّ القَبُـولْ

فتَجَامَـدَتْ مُحْتَـالةً***والمَرْءُ يَعْجَزُ لا الحَوِيلْ

لولا انقلاب العين سُـ***دّت دون بغيتها السبيـل

لهَجَرْتَهَا صَفْـرَاءَ في***بَيْضَـاءَ هَاجِـرُهَا قَلِيلْ

الكَأْسُ مِنْ رَأْد الضُّحَى***والرَّاح من طَفَلِ الأصِيلْ

آثرتَ عائِـدةَ التُّقَـى***ورَغِبْتَ في الأجْرِ الجَزِيلْ

المبحث الثالث: مجالس الأنس:

وهي المطارحات الشعرية التي تدور على نغمات الأوتار ورشقات الشراب، وتغلب فيها الرقة والعذوبة ووصف المتع والنعم وفي معرض الحديث عن الغناء وانتقاله إلى الأندلس بواسطة المغني زرياب يقول

ابن خلدون:"فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف، وطما منه بإشبيلية بحر زاخر، وقد وصلت الخمريات وشعر النسيب والغزل أعلى درجات الكمال في هذا البلاط المصقول.." (بالنثيا، 1955: 22)؛ لأن ظاهرة شرب الخمر ومعاقرتها راجعة إلى رواج توفرها في إشبيلية، بسبب كثرة الكروم، وإنتاجهم للخمور والأنبذة، يضاف إلى ذلك سحر الطبيعة وجمالها الذي وفر لمتعاطيها قصوراً ومنازه، في ظل التحلل من الممنوعات والمحظورات بجميع أنواعها (لقمان، 2008: 49)

إضافة شيوع بعض البواعث الأخرى مثل القلق النفسي الملازم للاضطرابات النفسية السياسية بين الأفراد (شلبي، 1978: 429)، ومنهم من يعزو تردد الفرد على مجالس الشراب واللهو إلى إحساس الفرد بضياع العمر، وزوال الشباب، وتفاهة الحياة وقصرها(السعيد، 1972: 162)

فكيف لا يجذب هذا المناخ الخصب شاعراً غنائياً حساساً كابن زيدون، وقد عزله ابن جهور، وهجرته ولادة؟ فانتقل إلى إشبيلية، فتلقاه المعتضد في وزرائه وشعرائه وأعيان بلده فاحتفل به احتفالاً رائعاً، وألقى إليه بمقاليد وزارته، (الصفدي،2000: 56،57)، فنزل في بيت صديقه أبي عامر بن سلمة، الذي كان مشغوفاً بالراح، مثل أميره المعتضد، وقد ألف له كتاباً سماه (حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح)، (ضيف،1960:28)، وأترع لشاعرنا كؤوسه وتبادلا الأشعار في وصفها والحديث عنها، كقول ابن زيدون، من المتقارب: (ابن زيدون،1957:228)

أدرْها فقد حسُنَ المجلـسُ وقد آن أن تُتْرعُ الأكْـؤُسُ
ولا بأس إن كان ولَّى الربيعُ إذا لم تجــد فقْدهُ الأنفسُ
فإنَّ خــلال أبي عـامر بها يحْضُرُ الوَرْدُ والنرجسُ

وقد تبوَّأ ابن زيدون مجلسه بالقرب من المعتضد، ولزم حومته واتصل بسياسته، فأصبحت بينهما صلات صداقة ومودة وطيدة الأركان جعلت الأمير يشركه في خلواته، ويقارعه الكؤوس ويطارحه الأسمار ويقارضه الأشعار ويهدي إليه ويقبل هداياه، (ابن بسام،1997: 2/ 226)

وتشير المصادر الأدبية إلى أن ابن زيدون حين وفد على إشبيلية كان المعتمد في العاشرة من عمره، وكان يأنس من أبيه موهبة الشعر، فأحب الشعراء وولع بمجالستهم، وأنس بمنادمتهم وآثر أن يتدرب على ابن زيدون، فبسط له نفسه، وفتح له صدره، حتى أصبح شاعراً مجيداً، وبعد أن ولي المعتمد العهد زادت صلاته بالشاعر وثاقة، فتبادلا الرسائل والأشعار، ومقارعة العقار فوجد فيه ابن زيدون أميراً كريماً، وصديقاً مؤاخياً، وصنواً له في الأدب، فمدحه معجباً به محباً له، مطمئن النفس، فأصبت حياته كلها مسرة وهناءة و"لهو وطرب، ويكفي أنه كان في إشبيلية، بلد الخمر والموسيقى والغناء، وأنه كان في بلاط المعتمد الذي اجتمعت في قصوره زينة الدنيا ومباهجها، حتى كأن حياته، سوى أيام حربه انتظمت

حفلات"، (ضيف، 1960: 28\29)، ولما كان مجلسه فوق مجلس ابن زيدون قدَّم المعتمد لأستاذه اعتذاراً شعرياً رقيقاً، فقال من الرمل: (ابن زيدون،1957: 211)

أيُّها المنْحَطُّ عنِّي مَجْلِساً ***ولهُ في القَلْبِ أعْلَى مَجْلِسِ
بِفُؤادِي لكَ حُبٌّ يَقْتَضِي ***أن تُرى تُحْمَل فَوقَ الأرْؤُسِ

فأجابه بقوله: من الرمل (ابن زيدون،1957: 212)

أسَقيطُ الطـلِّ فَوقَ النَّرْجِسِ*** أمْ نَسِيمُ الرَّوضِ تحتَ الحِنْدِسِ؟
أمْ نِظَـامٌ لِـلآل نَسَـقٍ ***جَـامِعٍ كُلِّ خَطِيرٍ مُنْفِسِ؟
أمْ قَرِيضٌ جَاءنِي عَنْ مَـلِكٍ***مَـالِكٍ بِالبِرِّ رِقَّ الأنْفُسِ؟
وارْتَشِفْ مَعْسُولَ نَصْرٍ أشْنَبٍ ***تَجْتَنِيه مِنْ عَجَـاجٍ أَلْعَسِ!
وارْتَفِقْ بِالسَّعْدِ في دَسْتِ المُنَى ***يُصْبِحِ الصُّنْعَ دِهَاقَ الأَكْؤُسِ!

وكان ابن زيدون أبرز وزرائه الثلاثة الأكابر المثناة وزارتهم (أي أحد الثلاثة الذين يلقب كل واحد منهم بذي الوزارتين) والآخران هما ابن عمار وابن خلدون، وقد ولع هؤلاء الثلاثة باللهو والطرب، يذكر أنهم خرجوا ذات يوم إلى منتزه للمعتمد "نووا الانفراد للهو والطرب، والتنزه في روضي النبات والأدب، وبعثوا صاحباً لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم، ونظام مسرتهم، ليأتيهم بنبيذ يذهبون به الهم، وإزعاج القلوب، فجلسوا ينتظرونه، ويترقبون عودته، فلما رأوه مقبلاً من أول الفج بادروا إلى لقائه، واتفق أن فارساً من الجند ركب فرسه فصدمه، ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه، وكسر قمصال النبيذ الذي كان معه، وفرق من شملهم ما كان الدهر جمعه... فقال ابن زيدون: (المقري، 1988: 243/3).

أنَلْهُو والحُتُوفُ بِنَا مُطِيفَةْ؟***ونَأْمَنُ والمَنُـونُ لنَا مُخِيفَةْ؟

وقال ابن عمار:

هُمَا فَخَّارَتَا رَاحٍ ورَوْحٍ ***تَكَسَّرَتَا فأشْقَـافٌ وجِيْفَةْ"

ويبدو أن مجالس ابن زيدون لم تكن كلها مجالس للخمر مطالب للشهوة والجسد، فكثيرٌ منها هي مطارحات أدبية، ومساجلات شعرية، يظهر فيها براعته، وملكته لزمام الشعر، فقد كتب مخاطبا أبا حفص بن برد، ممازحاً وذاكراً مجالس الخمر، من السريع: (ابن زيدون،1957: 198)

قُلْ لِأَبِي حَفْصٍ وَلَمْ تَكْذِب ***يَا قَمَرَ الدِّيْوَانِ والمَوْكِـبِ
مَا لأَبي صَفْوَانَ مَـأْلُوفِنا***أَبْرَقَ في الأُلْفَةِ عَنْ خُـلَّبْ؟
ولَمْ يَعُـدْ إلَّا كَمَـا يَتَّقَى ***مُسْتَرِقُ السَّمْعَ مِنَ الكَوْكَـبِ
عَنِّفْــهُ باللهِ عَلَى فِعلِهِ ***واشْتم وإنْ لمْ يَسْتَقِمْ فاضْرِب

وعَاطِهِ صَهْبَاءَ مَشْمُولةً*** يَرَى بِهَا المَشْرِقَ في المَغْرِبِ
وليَشْرَبِ الأكْثَرَ مِنْ كَأْسِهِ***واعْمِدْ إلَى فَضْلَتِهِ فَـاشْرَبِ

المبحث الرابع: المعميات (المطيرات):

افتن بعض النظامين والكتاب في طرق الألغاز والتعمية؛ ليمتحنوا بها الذكاء والقدرة على فك الطلاسم والمعميات؛ أو لقتل أوقات فراغهم الطويلة، وهو عمل شاق مضن لا يقدم عليه إلا من فرغ باله من مشكلات الحياة ووجدها، وأكثر أنواعه تافه لا خطر له،... ويبدو أن هذه المعميات "تقوم عند الملوك والأمراء مقام الشفرة، وتطيير الحمام الزاجل, وما إلى ذلك من وسائل المخابرة السرية"، (ابن زيدون، 1957: 281)، وربما كان ما دار بين ابن زيدون والمعتمد من هذا النوع لم يكن يقصد به قتل الوقت و التسلية، أو امتحان الذكاء فحسب، وإنما كان يقصد به فوق ذلك المران على بعض ضروب المخابرة السرية التي كانت تمس إليها حاجة الدولة، ويستعملها أنصارها السياسيون للتعمية، على غيرهم من خصومهم، وربما كان للتسلية وحدها وتزجية أوقات الفراغ الطويلة أيضا، وهكذا تعددت بواعث هذا النوع من الإخوانيات.

وقد تفرد صاحب نفح الطيب بالإشارة إلى هذه الألغاز التي دارت بين ابن زيدون والمعتمد، والتي عرفت باسم المعميات أو المطيرات، ولم تذكرها . حسب علمي . أي من المصادر القديمة ولا المعاجم العربية.

ولما كان هذا الفن الغريب الذي ابتدعه ابن زيدون يدور حول الألغاز بأسماء الطيور، فقد سماه بالمطيرات وهو "نوع من المطارحات الشعرية ينهض على الأحاجي والألغاز وتدور كلها على أسماء الطيور، ولكل طائر حرف يرمز إليه، وقد تتغير الرموز بتغير القصائد" (ابن زيدون،1957: 594)

وقد دارت هذه الألغاز بين ابن زيدون والمعتمد بن عباد إلا مطارحة واحدة دارت بينه وبين أبي طالب محمد بن مكي, وهذا الفن القائم على الأبيات المعماة أو المطيرة عبارة عن رياضة ذهنية، وتدريبات شعرية أشبه بالنظم التعليمي منه بالفن الشعري، (ابن زيدون،1957: 85)، حيث يطير أحد المتراسلين إلى الآخر بيتا شائعاً أو بيتين في قصيدة، ويرمز لكل حرف من حروفهما باسم طائرٍ بعينه، فمن تلك القصائد الشاعر إلى المعتمد، من السريع: (ابن زيدون،1957: 616)

يا أيُّها الظَّـافِرُ نِلْتَ المُنَى ***ولاَ يَنَلْنا فِيـكَ مُحْــذُورُ
إنَّ الخِلالَ الزَّهْرَ قد ضمَّها ***تَوبٌ عَلَيكَ الدَّهْرَ مَزْرورُ
لاَ زالَ لِلْمَجْدِ الَّذي شِدْتَـهُ ***رَيْعٌ بِتَعْمِيرِكَ مَعْمُـورُ
حتَّى يُوفَّى فِيكَ ما يبْـغي ***مُعْتَضِدٌ بِاللهِ مَنْصــــورُ
وَافاكَ نَظْـمٌ، لِيَ في طَيِّهِ ***مَعْنَى مُعَمَّى اللَّفظِ مسْتُـورُ

مَرَامُهُ يَصْعُبُ، مَا لَمْ يَبُحْ***بالسِّرِّ قُمْرِيٌّ وعَصْـفُورُ
وبُلْبُلٌ، ثُمَّ يَكُــرُّ اللَّذا*** تَقَدمَا، فاللَّفْظُ مَكْــرُورُ
ثُمَّ تَرى البُلْبُــلَ قَدْ حَنَّهُ ***نَسْرٌ، بِهِ الشَّقْنينُ مَنْسُـورُ
ثُمَّ الغُرَابُ الجَوْنُ، يَتْلُوهُ قُمْ*** ــرِيٌّ وَدُرَّاجٌ وَزَرْزُورُ
ثُمَّ يَلِي الدُّرَّاجَ مِنْ بَعْدُ غِرْ***يقٌ ومُكَّــاءٌ وَشُرْشُورُ
وَبَاشِقٌ، ثُمَّ إذا حَلَّقَ الشَّا***هِينُ فالعُصْفُــورُ مَذْعُورُ
ثُمَّ سَلِ المُكَّاءَ يَصْدُقْكَ وَالعُصْـ ***ـفُورَ، والقُمْـرِيُّ مَزْجُورُ
وَإِنْ جَرَى الدُّرَّجُ في إثْرِهِ الــزَّرْ***زُورُ فالمَطْوِيُّ مَنْشُـورُ
وَثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ مَوْضُوعَـهَا ***حَرْفٌ لِفَصْلِ اللَّفْظِ مَقـْدُورُ
وَفي الَّذي عَمَّسْتُ نُصْحٌ . لِمَنْ***حُدَّ مِنَ الأعْداءِ . مَشْكُــورُ

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
أ	قمري	غ	نسر	ف	دراج	ن	عصفور
ن	عصفور	ز	شقنين	ل	غرنيق	ي	مكاء
ت	بلبل	ظ	غراب	ي	مكاء	ن	عصفور
إ	قمري	ا	قمري	ط	شرشور	ا	قمري
ن	عصفور	ف	دراج	ع	باشق	ف	دراج
ت	بلبل	ر	زرزور	م	شاهين	ر	زرزور

والبيت المطير في القصيدة هو:

أَنْتَ إنْ تَغْزُ ظــــافِرُ ***فَلْيُطِعْ مَنْ يُنــــافِرُ

ففكَ المعتمد المعمَّى، وكتبَ الشاعِرُ هذه القصيدة، من السريع: (ابن زيدون،1957: 618)

يَا خَيْرَ مَنْ يَلْحَظَهُ نَاظِـرِي ***شَهَــادَةٌ ما شابَهَا زُورُ
ومَن إذا ما لَيلٌ خَطْبٍ دجَــا***لاحَ بهِ مِنْ رأيِهِ . نُــورُ
رَأيتُكَ إمَّا شِمْتُهُ صــارِمٌ ***عَضْبٌ على الأعداءِ مَشْهُورُ
جَاءنِي الطَّيرُ الَّتي سِــرُّها***نَظْمٌ بهِ قَلْبي مَسْــــرورُ

شِعْرٌ هُو السِّحْرُ فلا تُنْكِروا***أنِّي بهِ . عِشْتُ . مَسْحُـورُ
اللَّفظُ والقِرْطاسُ، إنْ شُبِّــهَا ***قِيْلَ: هُما مِسْكٌ وكــافُورُ
وَنَّهُ لمَّا اغْتدى خـــاطِرِي ***مُسائلاً جاوبَ عُصْفُــورُ
هَوَى لِجَيشِ الطَّيْرِ مِنْ فِكْـري*** صقْرٌ، فَوَلَّى وَهْوَ مقْهـوُرُ
فَلاَحَ لِي بَيْتٌ، فُــؤادِي لَهُ ***دَأباً عَلَى وُدِّكَ مَقْصــورُ
حَظُّكَ مِنْ شُكْــرِي يا سَيِّدِي ***بِما بَدَا لِي مِنْكَ . مَــوْفُورُ
قَصَّرْتُ في نَظْمِي، فَاعْذُرْ، فَمَنْ ***ضَاهَاكَ في التَّقْصِيرِ معْذُورُ
فَأنتَ إنْ تَنْظِمْ وتنْثُــرْ فقَدْ ***أعْوَزَ مَنْظُــومٌ ومنْثُورُ
لَا يَعْدُكُمْ رَوضٌ مِنَ الحَــظِّ في ***الإكْرامِ والتَّرْفيعِ مَمْطُـورُ

فأجابه ابن زيدون بهذه القصيدة من السريع: (ابن زيدون،1957: 620)

حظِّيَ مِن نُعْماكَ مَــوفُورُ***وَذَنْبُ دَهْــرِي بِكَ مَغْفُورُ
يا ابْنَ الَّذي سِـرْبُ الهُدى آمِنٌ ***مُنذُ انْبَرى يَحْمِيهِ . مَخْفُـورُ
وآمِرَ الــدَّهْرِ الَّذي لمْ يَزَلْ*** يُصْغِي إليهِ مِنْهُ مأْمــورُ
أُلْبِسَ منْكَ المُلْكُ أسْنى الحُــلَى ***ظافِرٍ يَنْمِيهِ مَنْصُــورُ
يا مُرْوِي المأثُورِ، يــا مَنْ لهُ***مَجْدٌ معَ الأيَّامِ مــأمُورُ
عَبْدُكَ إن أكْثَرَ مِنْ شُكْــرِهِ ***فَهْوَ بِمَا تُوْلِيْــهِ مَشْكُورُ
إن تَعْفُ عَنْ تَقْصــيرِهِ مُنْعِماً***فالسَّرْوُ أن يُقْبِلَ مَيْسُــورُ
إنَّ حَلالَ السِّحْرِ إنْ صُــغْتَهُ***في صُحُفِ الأنْفُسِ مَسْــطُورُ
نَظْمٌ زهَاني مِنْهُ إذْ جــاءَني***عِلْقٌ عظِيمُ القَدْرِ مَذْحــورُ
هَوَى إليْهِ طَرَباً خاطِــرِي ***كما تَلَقَّى الوَصْلَ مَهْجُــورُ
تَشِثُّ عن مَعْــناهُ أَلْفاظُهُ*** كما وَشى بالــرَّاحِ بَلَّورُ
جَهِلْتُ إذْ عارَضْتُهُ، غيــرَ أنْ***لَا بُدَّ أنْ ينْفُثُ مصْــدُورُ
يا آلَ " عبَّــادٍ": مُوالاتُكُمْ ***زاكٍ مِنَ الأعْمالِ مَبْـرُورُ
إنَّ الَّذي يرْجــو مُؤَازاتكُمْ ***مِنَ المنَاوِينَ لَمَغْــرورُ
مَكانُهُمْ منْكُم كما انْحَــطَّ عَنْ ***مَنْزِلَةِ المرفُوعِ مجْــرُورُ

وكتب الشاعر هذه القصيدة المطيرة إلى المعتمد: من مجزوء البسيط(ابن زيدون،1957: 623)

يَا مرضـــــياً كُلَّ مِخْدَمْ ***ومُـــرْوياً كُلَّ لَهْـــذمْ
وَافاكَ . للطَّيْـــرِ . سِرْبٌ ***لَديْهِ سِـــــرٌّ مُكْتَـــمْ
إنْ تسْألِ الطَّيْـــرَ عَنْهَا***مُسْتعْلِماً مِنْـــهُ تعْلَـــمْ
والنَّسْـرُ والـــرَّهْوُ يُنْـــ ***بيكَ والظَّلِيـمُ والمُصَلّـَمْ
ثُمَّ الهـــــدِيلُ تَلِيـهِ ***حَمَـــامـــةٌ تَتَرَنَّـــمْ
إلى عُقـــابينِ يَـــدْعُو***هُمَـــا الظَّلِيـــمُ فَيَفْهَـمْ
ثُمَّ العُقـــابُ مع الصَّقْـــرِ***فهْوَ بالسَّـــرِّ أعْلَـمْ
والرَّألُ والـــرَّهْو والقَبْـــجُ *** فالثـــلاثَةُ حُـــوَّمْ
ثُمَّ العُقـــابُ فَســـئلهُ***والصَّقـــرُ لا يتَلَعْثَـــمْ
إلى حُبـــارى وبـــازٍ***وحـــالِكِ اللَّونِ أعْصمْ
ثمَّ السَّمامُ معَ الـــــرأ ***لِ كَيْ يَبـــوُحَ المُجَمجَمْ
إلى عُقـــــابٍ ورَهْوٍ ***يُفْصِحُ بِما شِئْتَ أسْحَـــمُ
وما الظَّليـــــمُ بآلٍ ***فلَوْ زَجَـــرْتَ لَتَرْجَمْ
ثُمَّ العُقابِ سيُـــوحِي***للصَّقْـــرِ: لا تَتَكَلَّمْ
وعَقْعَـقٌ وهديـــلٌ ***والقَبْـجُ في ذاكَ ملْهَمْ

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
الهمزة	طير	ك	ظليم	ا	صقر	ل	رهو
هـ	نسر	و	عقاب	ظ	حبارى	ك	ظليم
ل	رهو	ا	صقر	ف	باز	و	عقاب
ك	ظليم	س	رأل	ر	غراب	ا	صقر
ع	هديل	ل	رهو	ب	سمام	ن	عقيق
د	حمامة	م	قبج	س	رأل	ع	هديل
و	عقاب	و	عقاب	و	عقاب	م	قبج

والبيت المطير هو:

أَهْلِكْ عَـــدُوَّكَ واسْلَمِ*** واظْفَرْ بِسُـــؤلِكَ وانْعَمْ

المبحث الخامس: الدراسة الفنية:

أولا الصورة الفنية:

تظهر أهمية الصورة كونها وسيلة للتعبير بشكل عام، وهى ليست حكرًا على الشعر بل هي موجودة في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأمثال، والنثر الفني بجميع أشكاله غير أنها في الشعر تعطينا تصويرًا حقيقيًا أو قريباً من الحقيقي فتسهل عملية الإدراك للمعاني والمفاهيم (العواسي،2010: 96).

ويرى إحسان عباس في حديثه عن مفهوم الصورة أنها أكبر عون على تقدير الوحدة الشعرية، وعلى كشف المعاني العميقة التي ترمز إليها القصيدة، وليست الصورة شيئًا جديدًا، فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر (عباس، 1955: 230)

والصورة هي الناقل الأمين لأحاسيس الشاعر وعواطفه بحيث تتخذ هذه الأحاسيس والعواطف شكلا فنيًا، بإمكانه أن يؤثر فينا، ويجعلنا نشارك الشاعر فيما يعتمل في نفسه، وترسم الملامح العامة لتجربة الشاعر النفسية والإيحاء بها (عبدالله، 1981: 43).

1 – التشخيص: يقصد به "إسباغ الحياة الإنسانية على ما لا حياة له كالأشياء الجامدة للكائنات المادية غير الحية (وهبة، المهندس، 1984: 67).

إن التشخيص بث للحياة في مظاهر العالم الخارجي، بحيث يجعلها تمتلك أجزاءً من الإنسان، أو أوصافاً منه فتحسُّ وتتألم حسب قدرة الشاعر على التفاعل مع هذه المظاهر(قاسم، 1980: 112) ويقوم الشاعر بنقل تجاربه الشعورية إلى المتلقي باستعماله التشخيص كونه أداة من الأدوات الفنية التي يلجأ إليها لنقل هذه التجربة؛ لأنها أقرب إلى النفس حينما يشخِّص المجردات، أو الأشياء المادية، واستخدام ابن زيدون في إخوانياته عدة وسائل في التشخيص منها: استعارة وصف من الأوصاف الإنسانية للمعاني والأشياء المادية.

كما في قوله: ثَناءٌ ثَنى في سَنَاءِ المَحَ ***لِّ زُهرَ الكَواكِبِ لي حُسَّدا

حيث شخص الكواكب ووصفها بوصف إنساني فاستعار صفة إنسانية هي الحسد الذي تملك تلك الكواكب على علو مكانها أن تحسد الممدوح على هذا الثناء.

وقوله: رَكَنتُ إلى كَرَمِ الصَفحِ مِنهُ ***فَآمَنَني ذاكَ أَن يَحقِدا

شخص الشاعر الصفح وجعل له خصائص الأنسان وصفاته وهي الكرم والحقد.

وقد يستخدم الشاعر التعبير بالفعل لتحقيق الاستعارة ليظهر الجو النفسي الذي يخلقه في إبداع الصورة الجديدة، وإقامة علاقات لم تكن معروفة من قبل كما في قوله من مجزوء الكامل:

يَا مَنْ تَزَيَّنَتِ الرِّيَا***سَةُ حِـينَ أُلْبِسَ ثَوْبَـهَا
وَلَهُ يَدٌ يَئِسَ الغَمَـا***مُ مِنَ أنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا

استخدم الشاعر الفعل تزينت وهو من خصائص الإنسان للرياسة للدلالة على علو شأن الممدوح، وترفعه عن المناصب فهي التي تسعى إليه، وشخص الغمام، وجعله ييأس أن يقارع الممدوح في العطاء والكرم، فاستخدم الفعلين يئس ويعارض.

وقوله من الخفيف:

لَذَّة الوَصْلِ نَالَهُ بَعْـدَ يَأْسٍ***كَلِفٌ طَالَمَا تَشَكَّي الجَفَـاءَ
يَفْضَحُ الشُّهْدَ طَعْمُهُ كُلمَا قِيْـ***سَ إلَيْهِ، ويُخْجِلُ الصَّهْبَاءَ

أهدي الشـاعر إلى المعتضـد دواءً فاسـتخدم الأفعال يفضـح، يُخجل وهي أفعال يختص بها الإنسـان ليبني علاقات جديدة يحاول أن يظهر فيها لذة هذا الدواء الذي يخالف ما اعتاد عليه الناس من طعم مر للدواء.

وقد يضفي الشاعر عضوا من أعضاء الإنسان يجعله أحد طرفي الصورة الاستعارية كما في قوله:

فَأَمطاكَ مِنكَبَ طَرفِ النُجومِ***وَأَوطَـأَ أَخمَصَكَ الفَرقَدا

حيث شـخص الشـاعر النجوم، وجعل لها عضـوا من أعضـاء الإنسـان وهو المنكب، وجعل الممدوح يمتطي هذه النجوم ويطأ بأخمصه الفرقدا، وتلك غاية الرفعة وعلو المكانة.

ثانيا: التجسيد يقصد به " أن تجعل المعنوي محسوساً أي تحوله من مجرد إلى محسوس يُرى، ويُسمع، ويُلمس، ويُشم"(الصائغ، د.ت: 307).

والتجسيد فضلاً عن كونه عنصراً من عناصر تزيين الصورة فإنه وسيلة مهمة لتوضيح المعنى وجلائـه فـالـذي نـدركـه بـالحس هو الـذي نســتطيع تخيلـه، إذ ليس ثمـة تمثيل منقطع عن الحواس (الصـائغ،د.ت: 307) وهذه المعنويات، أو المجردات التي يقوم بالشـاعر بنقلها من عالم المعنويات إلى عالم المحسوسات ليس بالضرورة أن تكون في صورة تكسبها خصائص الإنسان، فقد تخرج في صورة محسوسة مجسمة بعيدة عن صور الإنسان، أو صفاته بل تكون مجسمة (الصائغ،د.ت: 276)

استخدم ابن زيدون التجسيد في العديد من الصور التي ظهرت في إخوانياته مصورا أحاسيسه وعواطفه محاولاً نقل تلك التجربة إلى المتلقي، وفيجسـد الشـاعر الندى ويجعل له بحرا زاخرا ليدل على كرم الممدوح وسخائه،

أَفاضَ سَماحُكَ بَحـرَ النَدى*** وَأَقبَسَ هَديُكَ نورَ الهُدى

ويقول: وَمــا زالَ رَأيُكَ فِيَّ الجَميلَ***يُفَتِّحُ لي الأَمَلَ الموصَـدا

يجسد الشاعر الأمل وهو شيء معنوي، ويجعل له باباً موصداً ويحاول الشاعر أن يفتحه متسلحا برأي صاحبه الذي يرفع من معنوياته ويجعلها تطاول عنان السماء.

ويقول في مطارحة أخرى من الوافر:

هَوَايَ وإنْ تَنَاءَتْ عَنْـكَ دَارِي *** كَمِثْلِ هَوَايَ فِي حَالِ الجِوَارِ

مُقِـيْمٌ لا تُغَيِّـرُهُ عَــوَادٍ *** تُبَاعِدُ بَيْنَ أحْيَـانِ المَـزَارِ

رَأْيْتُكَ قُلْتَ: إنَّ الهَجَـرَ بَدْرٌ *** مَتَى خَلَتِ البُدُورُ مِنَ السَّرَارِ

يجسد الشاعر الهجر وهو شيء معنوي فيجعله بدراً وهو شي مادي يدرك بالحواس وهذا الجفاء الذي حصل بينه وبين صاحبه لا بد من أفوله فمدة ظهور البدر هي أيام قليلة لا بد للبدر (الهجر) بعدها من السرار وذهاب الجفوة وعودة أيام الصفاء من جديد.

وهذه الصــور، وإن كان بعضــها متأثرا بالتراكيب الخيالية، إلا أنها بنيت على جعل الشــيء للشــيء وليس له، فهي عملية خلق خيالي وإحياء تشـخيص، وهذا من مظاهر نشـاط الخيال في تحويل المدركات والإبانة عنها فعملية الإدراك الحسي من تشخيص الأشياء التي رغب الشاعر في تحويلها من معان ذهنية إلى صورة حسية(قاسم، 1980: 347)

الإيقاع الموسيقي:

الموسيقى عنصر أساسي من عناصر الشعر، وأداة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته، وهي بالإضافة إلى هذا فارق جوهري من الفوارق التي تميز الشعر عن النثر (زايد، 2008: 154).

والموسيقى في الشعر "ليست حلية خارجية تضاف إليه، إنما هي وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء، وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفي في النفس مما لا يستطيع الكلام أن يعبر عنه؛ ولهذا فهي من أقوى وسائل الإيحاء سلطاناً على النفس"(زايد، 2008: 154) لأننا حين نمعن النظر في بنية القصيدة العربية نجد أن البناء الموسيقي يعد في مقدمة البنى التي تتكون منها القصيدة عند العرب، ويرى النقاد أن البناء الموسيقي يقدم على البناء بالصورة؛ لأن القصيدة إذا فقدت العنصر النغمي تخرج من دائرة الشعر، فالبناء بالموسيقى في القصيدة العربية لا يعد تعسفا ولا تحجرا، بل هو الأقرب إلى خصائص الشعر العربي.

وتذهب كثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت الإيقاع إلى تقسيمه إلى إيقاع خارجي ويبحث في الوزن والقافية والتفعيلة في القصيدة الشعرية، وإيقاع داخلي هو جرس اللفظة ووقعها على الأسماع ويبحث في التكرار والتوازي والطباق والجناس.

إن صلة الشعر العربي بالموسيقى صلة وثيقة فلا شعر من دون موسيقى، فقديماً عرَّف النقاد العرب الشعر بأنه كلام موزون مقفى، وذلك لارتباط الشعر بالوزن.

الإيقاع الخارجي: يقصد بالإيقاع الخارجي (الإطار الموسيقي) الذي اختاره الشاعر ابن زيدون هيكلاً لقصائده المتمثل في الأوزان التي نظم عليها قصائده محل الدراسة والقوافي المتعددة التي بنيت عليها أبيات قصائده، وما صاحب تلك الموسيقى من تجربة شعورية.

أ- الوزن: يقصد بالوزن البحر الشعري الذي بنيت عليه القصيدة، وما يتكون منه من تفعيلات.

تعددت البحور الشعرية التي نظم ابن زيدون عليها أغراض قصائده الإخوانية حيث استخدم البحر المتقارب والبحر والوافر والبحر السريع، وهذه البحور أكثر من غيرها في شعر الإخوانيات، ثم يأتي البحر الخفيف ومجزوء الكامل، ويأتي بعد ذلك البحر المنسرح والمجتث والبسيط والرمل.

ب- القافية: اختلف القدماء في تحديد مصطلح القافية، وتوسعوا فيه تبعاً للمقاطع التي تتكون منها، حيث يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي أن القافية " آخر حرف من البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن"(الأخفش، 1974: 51)، ويرى الأخفش " أن القافية هي آخر كلمة في البيت، وإنما قيل لها قافية؛ لأنها تقفو الكلام "(الأخفش، أبو الحسن، 1974: 46).

استعمل ابن زيدون في إخوانياته القافية بنوعيها المطلقة والمقيدة فجاءت قوافيه أكثرها متحركة، ووردت ساكنة في قصيدة واحدة حيث جاءت القافية مقيدة مجردة من الردف والتأسيس.

في قوله: أَتَتْك بِلَـونِ المُحِبِّ الخَجِلْ ***تُخالِطُ لَوْنَ المُحِبّ الوَجِـلْ

أما أكثر القوافي المطلقة فقد جاءت مجردة من الردف والتأسيس موصولة بحرف من أحرف المد كما

في قوله: هَوَايَ وإنْ تَنَاءَتْ عَنْـكَ دَارِي *** كَمُثْلِ هَوَايَ فِي حَالِ الجِوَارِ

وقوله: لو أني لك في الأهواء مُخــتارُ*** لَما جرتْ بالذي تشكـوهُ أقدارُ

وقوله: أَفاضَ سَماحُكَ بَحــرَ النَدى*** وَأَقْبَسَ هَديُكَ نورَ الهُدى

ووردت قصيدتان على القافية المطلقة المجردة من الردف والتأسيس الموصولة بالهاء في قوله:

قد أحسنَ اللهُ في الذي صَنَعَهْ ***عارضُ كــربٍ بلُطفِهِ رَفَعَهْ

وفي قوله أيضا: دُونَكَ الرَّاحَ جَامِـدَهْ ***وفَدْتَ خَيْرَ وَافِدَهْ

ووردت قصيدة قافيتها مطلقة مجردة من الردف والتأسيس موصولة بالهاء والخروج في قوله:

يَا مَنْ تَزَيَّنَتِ الرِّيَا***سَةُ حِـينَ أُلْبِسَ ثَوْبَـهَا

الإيقاع الداخلي: "ينساب الإيقاع الداخلي في اللفظ والتركيب، فيعطي إشراقاً يعبر عن أدق خلجات النفس في نظام موسيقي جميل، فينقل إلينا مشاعر الشاعر عن طريق ألفاظ ومعان نجدها في شعره" (جدنا، وآخرون، 2017: 28)

أ–التكرار: في الاصطلاح: تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرة في سياق واحد إما للتأكيد، أو لزيادة التنبيه، أو التهويل، أو التعظيم (الجيار، 1984: 47)

يعد التكرار من ألوان الإيقاع الداخلي، وهو من أكثر العناصر المكونة كالنقرة والنغمة في الموسيقى، فهو أبرز الظواهر الصوتية ذات القيمة البليغة في العمل الإبداعي، فالمبدع إنما يكرر ما يثير اهتمامه، ويرغب في نقله إلى أذهان ونفوس المخاطبين، فهو وسيلة من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي دوراً تعبيرياً واضحاً في القصيدة، فمجرد تكرار حرف، أو كلمة، أو عبارة يوحي بشكل أولي إلى سيطرة العنصر المكرر (لعور، 2015: 19)

يعد تكرار الحرف النوع الشائع من أنواع التكرار الشائعة في الشعر العربي قديمه وحديثه، وله مزية سمعية في موسيقاه، و رمزية فكرية في معناه، وهذا التكرار لا يعد قبيحاً إلا حين يبالغ فيه الشاعر فيجعل النطق بكلماته عسيراً، فمهارة المبدع تكون في حسن توزيع الحرف حين يتكرر (جدنا، وآخرون، 2017: 30) حيث كرر ابن زيدون حروفا كثيرة في قصائده السابقة فكان التكرار الأكثر من الحروف الثلاثة (الهاء و الراء، والدال) حيث كان نصيب حرف الراء هو الأكثر لمجيئه رويًّ في أربعة قصائد، أما أكثر الكلمات تكرارا فلم يركز الشاعر على كلمة بعينها إلا في قصيدة واحدة كرر فيها كلمة (الهجر) ليبعد عن نفسه تهمة هجران الأحبة.

ب– التوازي: يقوم التوازي على قيم إيقاعية كالتكرار إذ يقتضي طرفين، أو أكثر لظهوره في النص الشعري، فيقوم تعادل المقاطع الصوتية وتقاربها، وعلى تماثل الجمل واستوائها مما يكسب النص الشعري موسيقى لفظية حيث تتوازى تفعيلة مع أخرى في الصوت والبناء(لعور، 2015: 33).

لم يرد التوازي كثيرا في قصائد الإخوانيات عند ابن زيدون إلا في أبيات قليلة ظهرت نغمة تكرار الفقرات والجمل فيها واضحة جلية كما في قوله:

أَفاضَ سَماحُكَ بَحــرَ النَدى*** وَأَقبَسَ هَديُكَ نورَ الهُدى

حيث ظهر التوازي بين جملتي (أَفاضَ سَماحُكَ) وجملة (وَأَقبَسَ هَديُكَ) وبين جملتي (بَحــرَ النَدى) وجملة(نورَ الهُدى).

وفي قوله: يَا بَــانِياً كُلَّ مَجْد***وهَادِماً كُلَّ وَجْــدِ

يظهر التوازي بين شطري البيت (بَــانِياً كُلَّ مَجْد) (هَادِماً كُلَّ وَجْــدِ)

وقوله: أَنَلْهُو والحُتُوفُ بِنَا مُطِيفَةْ؟*** ونَأْمَنُ والمَنُــونُ لنَا مُخِيفَةْ؟ يتضح التوازي جليا في الاستفهام الذي يبتدأ به شطري البيت (أَنَلْهُو والحُتُوفُ بِنَا مُطِيفَةْ؟) والشطر الثاني (ونَأْمَنُ والمَنُــونُ لنَا مُخِيفَةْ؟)

ج–الطباق هو الجمع بين معنيين متضادين، أو الجمع بين الشيء وضده مثل الجمع بين البياض والسواد، أو الليل والنهار، والحر والبرد، ومع إدراك العلماء الفرق بين التفسيرين.(عتيق، 1985: 77).

استخدم ابن زيدون الطباق والمقابلة في كثير من أشعاره السابقة لإظهار حسن ما يتحدث عنه كما يقولون الضد يظهر حسنه الضد حيث قابل بين يرفع ويحط، وبين الأولياء والعدا في قوله:

فَلا زِلتُما يَرفَــعُ الأَولِيا***ءَ مُلكُكُــما وَيَحُــطُّ العِدا

وقابل بين حر وبرد وبين شمس وظل في قوله:

تَأَتَّى لإِلْطَــافِ تَدْرِيجِـهَا***فمِنْ حَرّ شَمْسٍ إلى بَرْدِ ظِلّ

وطابق بين لكلمتي (جُــرِّدَ و أُغمِدا) في قوله:

يُعِدُّكَ صارِمَ عَـزمٍ وَرَأيٍ ***فَتُرضيــهِ جُــرِّدَ أَو أُغمِدا

الجناس: ويقال التجنيس، والجناس، وهو أن يتشابه لفظان في النطق، ويختلفان في المعنى، ويقال التجنيس والتجانس والمجانسة، ومعناه أن يحدث تشابه تجانس أي تشابه بين كلمتين في النطق، ويكون معناهما مختلفاً (المراغي، 1993: 345)

فالجناس هو تشابه اللفظتين في النطق، واختلافهما في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً، والمختلفان معنى يسميان ركني الجناس، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف بل يكفي في التشابه مع ما يعرف بالمجانسة (عتيق، 1985: 196) وهذا التشابه في النطق يضفي على القصيدة نغما مكررا كما في قوله:

لكنــها فتنٌ في مثـلِ غيْهَبها ***تَعمى البصائرُ إن لم تعْمَ أبصارُ

حيث جانس الشاعر بين (تَعمى البصائرُ) و (لم تعْمَ أبصارُ) وهذا جمع لكلمتي البصيرة والبصر ولكل منهما معنى خاص بها مغاير عن الأخرى.

وقوله في بيت آخر: أَتَاكَ مُحَيِّياً عَنِّي اعْتِبَارَا ***عَذَارَى دُونَهُ رِيْقُ العَذارَى

فالجناس هنا بين كلمتي (عَذَارَى) و(العَذارَى) فالكلمة الأولى تدل على نوع من العنب والثانية يقصد بها الفتاة العذراء.

وقوله الذي أتى على الجناس الناقص الذي لم تتفق جميع حروفه بين كلمتي الخجل والوجل:

أَتَتْكَ بِلَـونِ المُحِبِّ الخَجِلْ ***تُخالِطُ لَوْنَ المُحِبّ الوَجِلْ

الخاتـمـــــة

شاع شعر الإخوانيات لغرض السؤال عن الحال والعتاب والحنين.. فصار هذا الشعر فناً مستقلاً عند شاعرنا، فرضته الظروف السياسية وبعد الشقة بين الشعراء.

تنوعت الإخوانيات في أغراضها وبواعثها بين المطارحات، وهي قصائد أرسلت للشاعر فرد عليها بقصائد متفقة في البحر والقافية، وهي خمس مطارحات بينه وبين الوزراء، إلا واحدة بينه وبين ملك إشبيلية المعتمد، وكلها قيلت في البلاط الإشبيلي، أي في آخر حياته.

أما موضوع الاستهداء، وهي أن يرسل الشاعر هدية إلى أحد أصدقائه مصحوبةً بأبياتٍ شعرية يصف فيها الهدية، وكان معظم تلك الهدايا أما فاكهة كالعنب والتفاح، أو خمر، وقد أرسلت هدايا الثمار إلى البلاط القرطبي فأهدى ثمار إلى جده، وثمار التفاح إلى صديقه الأمير الوليد بن جهْور، أما في البلاط الإشبيلي (العبادي) التي اشتهرت بكثرة الثمار ووفرة الخمرة، ففيه أهدى المعتضد والمعتمد الخمر، واستقبل هداياهما من الخمر.

كل المراسلات التي قيلت في مجالس الأنس، التي تدور على نغمات الأوتار ورشفات الشراب، والتي تدعو لتناول الخمر؛ كانت في بلاط بني عباد، حيث اشتهرت إشبيلية بصناعة أجود الخمور والأنبذة، واشتهر حكامها بالمجاهرة في تناولها، والاعتناء بمجالسها.

أما فن المطيرات الذي استحدثه ابن زيدون وهو نوع من المطارحات الشعرية ينهض على الأحاجي والألغاز وتدور كلها على أسماء الطيور، ولكل طائر حرف يرمز إليه، فقد كانت بينه وبين المعتمد بن عباد، وكان الغرض منها التسلية وقتل أوقات الفراغ، في أواخر حياته.

استخدم ابن زيدون التشخيص التجسيم لنقل الصورة الفنية للتجربة الشعرية، تنوعت الأوزان والقوافي التي استخدمها الشاعر للإيقاع الموسيقي.

المصادر والمراجع:

. ابن زيدون عصره وحياته وأدبه، عبد العظيم، علي(1955) د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية. مصر(القاهرة).

. اتجاهات النقد الأدبي في ليبيا، العواسي، د. سالم (2010)، ط1، مجلس الثقافة العام. ليبيا(سرت).

. أروع ما قيل في الإخوانيات، أميل، ناصيف(1996) ، ط 1، دار الجبل . لبنان(بيروت).

. الإيقاع الشعري في ديوان آيات من كتاب السهو لفاتح علاق أنموذجا، جدنا، خديجة على، العبادي، يمينة(2017) رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية أدرار. الجزائر.

. البنية الإيقاعية في ديوان ابن الأبار، لعور، ياسمينة، شاكر، لقمان (2015)، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر.

. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، شلبي، سعد إسماعيل(1978) دار نهضة، مصر(القاهرة)

. تاريخ الفكر الأندلسي، بالثنيا، آنجل جنثالث ترجمة حسين مؤنس،(1955) ط5، مكتبة النهضة المصرية . مصر (القاهرة).

.التصوير الشعري قاسم، د. عدنان حسين(1980) ط1، المنشأة الشعبية للنشر التوزيع والإعلان، ليبيا (طرابلس).

. الحركة الشعرية في الأندلس(عصر بني الأحمر) جرار، أيمن يوسف إبراهيم (2007)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

ديوان ابن زيدون ورسائله، ابن زيدون، أبوالوليد، شرح وتحقيق علي عبدالعظيم (1957) د،ط، نهضة مصر (القاهر).

. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، أبوالحسن، تحقيق إحسان عباس، ج1 (1997)، ط1، دار الثقافة لبنان(بيروت).

. الشعر في ظل بني عباد السعيد، محمد مجيد(1972)، د، ط، المكتبة التونسية، تونس.

. شعر الملوك في الأندلس في القرن الخامس الهجري (المعتمد بن عباد إنموذجاً)، شاكر، لقمان (2008) رسالة جامعية، جامعة بانتة، الجزائر.

. الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الجيار، د. مدحت سعيد (1984)، ط1، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، ليبيا.

. الصورة الفنية معيارًا نقديًا الصائغ، د. عبد الإله،(د.ت) د.ط، دار القائدي، ليبيا(طرابلس) .

. الصورة والبناء الشعري، عبد الله، محمد حسن (1981) ، ط1، دار المعارف، مصر

. علوم البلاغة، المراغي، محمود أحمد (1993) ط3، دار الكتب العربية، لبنان(بيروت)

. علم البديع، عتيق، د.عبدالعزيز (1985)، د.ط، دار النهضة العربية، لبنان (بيروت) .

. عن بناء القصيدة العربية زايد، د. علي عشري(2008)، ط5 مكتبة الآداب، مصر (القاهرة).

. فن الشعر، عباس، إحسان (1955) د. ط، دار الثقافة، لبنان (بيروت).

. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ضيف، شوقي(1960) ، ط4، دار المعارف، مصر (القاهرة).

. كتاب القوافي، الأخفش، أبو الحسن، تحقيق أحمد راتب، (1974)،

. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (د. ت) ، د.ط، دار صادر، لبنان(بيروت).

. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس (1984) ط2، مكتبة لبنان (بيروت).

. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المقري، أحمد بن محمد تحقيق إحسان عباس(1988) د، ت، دار صادر لبنان (بيروت).

. الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ج/7(2000)، ط1، دار إحياء التراث العربي، لبنان(بيروت).

Al-Ikhwaniyat Poetry of Ibn Zaydun (Purposes and Motives)

Marai arhoumah jmmah aljal,
Lecturer, Department of Arabic Language, Faculty Of Arts/ Alqubba, Universty Of Derna.
m.aljali@uod.edu.ly
Ali abd alraheem ahmeedah omar,
Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty Of Education, Omar Al mukhtar University.
Ali.abdalraheem@omu.edu.ly

Abstract

This study deals with Al-Ikhwaniyat poetry by Ibn Zaydun, which comprises poetic correspondences between the poet, his friends, and admirers. Such poetic correspondences illustrate the preservation of relationships and affection among friends and they are characterized by delicacy, sweetness, and intense emotions. Al-Ikhwaniyat poetry varied between poetic correspondences, social gatherings, and poetic riddles. A descriptive approach was used in this study. The findings showed that "Al-Ikhwaniyat" is considered an independent art form in the work of Ibn Zaydun, imposed by political circumstances and the divergence among poets. The findings also revealed that the poetic correspondences between the poet and Al-Mu'tamid Ibn Abbad were intended for leisure and pastime.

Keywords*:* Al-Ikhwaniyat, poetic correspondences, poetic riddles, Ibn Zaydun's poetry.